جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الانسانية .

قسم التاريخ .

الدراسات العليا : الدكتوراه في التاريخ الاسلامي .

مادة : السيرة النبوية .

عنوان المحاضرة : الوحي عليه السلام ومكان نزوله على النبي أول مرة

استاذ المادة : أ. م.د . حسين اعبيد الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

نزول الوحي .

من نافلة القول ان نورد قول وات حول اتفاق الكتاب المسلمين حول أربعة أمور صحيحة التاريخ هي: الدعوة ظلت سرية ثلاث سنوات ، وان الهجرة الى الحبشة في العام الخامس، والمقاطعة كانت بعد هجرت الحبشة ودامت عامين أو ثلاث ، وموت خديجة وأبي طالب بعد نهاية المقاطعة وقبل الهجرة بثلاث سنين، مرت الدعوة بمرحلة السرّية ، ثم تحولت الى علنية الدعوة وسرية التنظيم ، ثم كان إعلان الدعوة والتنظيم ، وهذه الأحداث متداخلة ومختلف في بداية ونهاية كل مرحلة ، وقد تكون متزامنة مع مراحل وأحداث أخرى وفي موضوع ثاني ، مثل تزامن سرية الدعوة مع مدة فتور الوحي ، وتزامن سرية التنظيم مع مدة دخول دار الأرقم بن أبي الأرقم ، عموماً ان هذه المرحلة تبدأ منذ نزول الوحي أول مرة وتنتهي عند دخول المسلمين وبني هاشم ممن لم يهاجر الى الحبشة منهم دخلوا في الحصار في شعب أبي طالب واستمر الحصار الى السنة العاشرة للبعثة .

يُعدُّ أمر الوحي حجر الزاوية في الدعوة ، لذا كان لابد من الوقوف على كل ما يتعلق به من روايات ضمن المدة المحددة للبحث ، ولا بد أيضاً من التوضيح ان تلك الروايات تروى أحياناً طويلة وتتكلم عن أكثر من حادثة ؛ لذلك سنعمل على تجزئة الروايات حسب ما يتعلق بكل حادثة ، وإيراد كل جزء في الموضع الذي يناسبه، وذلك كي لا يتكرر ذكر الرواية بالكامل كلما جاءت مناسبة تخص معلومة ما في تلك الرواية ، وقبل الخوض في أمر الاتفاق والخلاف وعرض الروايات الواردة في ذلك يجب ان نقف على مفهوم الوحي ودلالات هذا اللفظ ، فعندما نقول الوحي يتبادر إلى الذهن الملك جبريل عليه السلام ، والحقيقة أن الوحي ما ينزل به جبريل عليه السلام من الله عَزَّ وجلَّ عَلى قلب رسول الله ﷺ ، فيمكن تقسيم كلام جبريل عليه السلام مع رسول الله ﷺ على ثلاثة أقسام : الأول : هو كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم ، والثاني : هو كلام الله تعالى وهو ليس بالقرآن ، بل الحديث القدسي الذي ورد كثيراً منه في مصنفات المحدثين لاسيما في الصحاح ، والثالث : هو كلام جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ مثل حديثه له ﷺ بعد الخندق عند الخروج لقريظة .

وقد قسم ابن القيم الوحي على مراتب عدة :

" إحداها: الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحيه ﷺ إذ كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

والثانية : ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه دون أن يراه ، كما قال النبي ﷺ : إن روح القدس نفث في روعي : "أنهَّ لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، إلى أخر الحديث ... " .

والثالثة : إنهَّ ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً ، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول ، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً .

والرابعة : إنهَّ كان يأتيه مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه فيتلبس به الملك حتى أن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد ، وحتى أن راحلته لتبرك إلى الأرض إذا كان راكباً .

والخامسة : إنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها فيوحي إليه ما شاء الله تعالى أن يوحي ، وهذا وقع له مرتان .

والسادسة : ما أوحاه الله عز وجل وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها .

والسابعة : كلام الله تعالى له منه إليه بلا واسطة ملكٍ ، كما كلم الله موسى بن عمران عليه السلام ، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن ، وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء.

وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب ، وهذا على مذهب من يقول: أنه ﷺ رأى ربه تبارك وتعالى ، وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف".

وفيما يخص المرتبة الثانية التي ذكرها ابن القيم في قوله ما يلقيه الملك في الروع دون ان يراه ، فالإلقاء في الروع يعني الإلهام عند الصوفية ، فيقولون في تعريف الإلهام اصطلاحاً : ما يلقى في الروع بطريقة الفيض ، وقيل الإلهام ما وقع في القلب من علم ، وفي قول آخر هو : علم يقع في النفس بلا دليل ، ولا استدلال ، ولا أقناع ، ولا تقليد، وقول آخر إنَّ الإلهام : يختلف عن العلم العقلي ، فهو لا يكتسب بالتأمل والنظر ولكنه ينزل فجأة على قلب الملهم من غير أن يعرف كيف نزل عليه ومتى ولماذا ، فهو فيض من الله تعالى ، أي إنَّ الإلهام معرفة تلقى بطريق الفيض، والإلقاء يعني المصدر الإلهي للمعرفة الذي تفيض عنه هذه المعارف لتلقى في الروع أو القلب أو البصيرة .

وقال العمري في تفسير ظاهرة الوحي : " إنَّ ظاهرة الوحي معجزة خارقة للسنن الطبيعية، حيث تلقى النبي ﷺ كلام الله (القرآن) بواسطة الملاك جبريل عليه السلام وبالتالي فلا صلة لظاهرة الوحي بالإلهام أو التأمل الباطني أو الاستشعار الداخلي ، بل إنَّ الوحي يتم من خارج الذات المحمدية المتلقية له ، دون أن يكونَ لرسول الله ﷺ أي أثر في الصياغة والمعنى ، بل تنحصر مهمته بحفظ الموحى إليه وتبليغه ... إنَّ محاولة البعض تعليل اختلاف أسلوب القرآن عن أسلوب الحديث عن طرق علم النفس التحليلي بدعوى أنَّ القرآن صدر عن منطقة اللاشعور في حالة ضعف الوعي الخارجي ونشاط العقل الباطن ، وأنَّ الحديث صدر عن العقل الظاهر تبدو متهافتة ... ولا شك أنَّ الهروب من الاعتراف بالوحي هو الدافع إلى التفسيرات العديدة المتناقضة لظاهرة الوحي ، والتي قدمها المستشرقون وأتباعهم خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ".

وقال صاحب صفوة السيرة النبوية : " يتبين من رؤية الرسول ﷺ جبريل بعينيه – يقظة – أن ظاهرة الوحي ليست أمراً ذاتياً داخلياً مرده إلى حديث النفس المجرد ، أو ما شابه ذلك من التمحلات ، وإنما هي استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات ، وضم الملك إياه ، ثم إرساله ثلاثة مرات ،

قائلاً في كل مرة (اقرأ ...) يعد تأكيداً لهذا التلقي الخارجي ، ومبالغة في نفي ما قد يتصور من أن الأمر لا يعدو كونه خيالاً داخلياً فقط " .

أمَّا العاملي فقد ذكر عدم التباس أمر الوحي بأمر الشيطان بقوله : "إنَّ حديث الوحي هو من أهم الأمور التي يعتمد عليها الاعتقاد بحقائق الدين وتعاليمه ، وله أهمية قصوى في إقناع الإنسان بضرورة الاعتماد في التشريع ، والسلوك ، والاعتقاد ، والإخبارات الغيبية ، وكل المعارف والمفاهيم عن الكون ، وعن الرسل والأنبياء ... وله أهمية كبرى في إقناعه بعصمة ذلك الرسول ، وصحة كل مواقفه وسلوكه وأقواله وأفعاله ، فإذا أمكن أن يتطرق الشك في نفسه إلى الوحي ، على اعتبار أنه إذا لم يستطع النبي ﷺ نفسه أن يفرق بين الملك والشيطان ، والوسوسة ، والحقيقة ، وهو يعاين ويشاهد ، فإنَّ غيره وهو لا يتيسر له الاطلاع الحسي على الشيء من ذلك يكون أولى بالشك ، وعدم الاعتماد ".

لا يمكن حصر روايات نزول الوحي في إطار واحد ، ومعالجتها ضمن موضوع واحد أيضاً ، فقد أرتبط بنزول الوحي عدة أمور منها كيف وأين كان أول نزول للوحي ؟ وما أول ما نزل به الوحي من القرآن الكريم ؟ وهل كان للوحي آثار على رسول الله ﷺ ، والزمن من الأمور المهمة في موضوع الوحي متى بدأ؟ وكم استغرق ؟ وهل كان هناك زمن محدد ينزل فيه الوحي أكثر من غيره ؟ وما سن رسول الله ﷺ عندما تلقى الوحي ؟ وفي أي سن قبض رسول الله ﷺ وتوقف الوحي ؟ وغيرها الكثير من التساؤلات لذلك كان من الأفضل التقسيم على موضوعات تستعرض حسب التسلسل المنطقي للأحداث :

أولا : مكان نزول الوحي أول مرة .

اعتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة أن يقيم شهراً في غار حِراء في جبل قرب مكة، وعند أحد المستشرقين كان يعتكف يومياً في كهف بالقرب من مكة يقال له حراء،وفي قول انه يسكن حراء من أوذي في دينه ومما يذكر ان " الخطاب قد آذى زيداً حتى أخرجه الى أعلى مكة فنزل حراء "، ويرى احد الباحثين انه كان يمارس الرياضة الروحية استعداداً لأمر عظيم وان لم يكن يعلمه حيث قال : " اجتهد صلى الله عليه وسلم ما يقرب من خمس عشرة سنة ، مرة بالرياضة الروحية من تحنث وتفكير وخلوة في ذلك بعيداً عن أنظار الناس ، ومرة بمحاولة تتبع آثار ملة ابراهيم عليه السلام في السلوك العملي التعبدي ".

وأورد ابن كثير اختلاف العلماء في تعبده عليه السلام قبل البعثة فيما إذا كان على شرع ام لا فقال " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه وقد اختلف العلماء في تعبده عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع ام لا ؟ وما ذلك الشرع ؟ فقيل : شرع نوح ، وقيل شرع إبراهيم ، وهو الأشبه والأقوى ، وقيل موسى ، وقيل عيسى ، وقيل كل ما ثبت انه شرع عنده اتبعه وعمل به ".

كان نزول الوحي في حراء في الشهر الذي أراد الله من العام الذي أراد الله به ان يبعث نبيه رحمة للعالمين ،وذكر انه أنزل أليه في رمضان من السنة الثالثة من عزلته في حراء أي في ثالث رمضان يمر عليه منذ ان بدأ يتحنث ، واختلفت الروايات في رؤية الوحي هل كان داخل حراء ؟ أو في مكان قريب منه ؟ وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال " فجاءني جبريل ، وانا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال :﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ فانصرف عني وهببت من نومي كأنما كتبت في قلبي كتاباً " ، وذلك يقتضي ان نومه كان في داخل حراء ، مما يدل ان النزول كان داخل حراء ، وفي قول آخر "حتى اذا كنت وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وانا جبريل ، فرفعت رأسي الى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل ... فوقفت انظر اليه ما أتقدم ولا أتأخر ... حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا أعالي مكة ورجعوا إليها وانا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني "، وهذا يعني انه سلك طريقاً غير الطرق المألوفة بين حراء ومكة فلذلك لم تجده رسل خديجة رضي الله عنها ، وانه بقي واقفاً مدة تساوي الوقت المستغرق للذهاب والإياب من حراء الى مكة ، وحدد المسافة ابن كثير بثلاثة أميال، ويدل ذلك أيضا على ان خديجة رضي الله عنها لم تكن وحدها معه في حراء بل معها من تستطيع إرساله في طلب حاجاتها ، والذي أرسلته في البحث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد وفق ابن اسحاق بين القولين السابقين ، أي نزول الوحي عليه وهو نائم ، ورؤيته الملك في الأفق عندما كان في وسط الجبل ، إذ قال " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءني وأنا نائم فقال : اقرأ... (العلق) ثم انتهى فانصرف عني ، وهببت من نومي ، وكأنما صور في قلبي كتاب ... فقلت إن الأبعد – يعني نفسه – لشاعر او مجنون ... لأعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها ، فلاستريحن ، فخرجت ما أريد غير ذلك ، فبينما انا عامد لذلك سمعت منادياً ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل ... فوقفت أنظر اليه ، وشغلني ذلك عما أريد ، فوقفت ما اقدر على ان أتقدم ولا أتأخر ولا أصرف وجهي في ناحية من السماء ، الا رايته فيها ... حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي حتى بلغوا مكة ورجعوا ، فلم أزل كذلك حتى كاد النهار يتحول ، ثم انصرف عني ، وانصرفت راجعاً الى أهلي حتى أتيت خديجة "، وهذا القول يدل على ان الرؤيا الأولى كانت في المنام ، وان الرؤيا الثانية كانت في اليقظة في نفس اليوم ، وانها كانت في النهار ، وان أهله كانوا معه في حراء .

واختلفت الروايات في مسألة مرافقة أهله له في حراء عندما نزل الحي عليه أول مرة ، فالبعض قال ان أهله كانوا معه، وذكر البعض خلاف ذلك القول من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحنث الليالي ذوات العدد ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلهن ويعود الى حراء. وقد ذكر ابن هشام وصف حاله عندما انصرف راجعاً الى خديجة بعدما شاهد الملك فقال صلى الله عليه وسلم : "وانصرفت راجعاً الى أهلي حتى أتيت خديجة ... فقالت يا أبا القاسم . اين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي ، ثم حدثتها بالذي

رأيت ، فقالت أبشر، يا ابن عم وأثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده اني لأرجو ان تكون نبي هذه الأمة "، مما تقدم يمكن القول ان نزول الوحي كان بحراء او قريباً منه ، وأهل النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مجاورين معه في حراء للتعبد على عادة قريش ، لكن يبدوا ان هذا الفعل لم يكن واسع الانتشار بل كان يقوم به أشخاص معدودين على أوقات متفاوتة بحيث لم يذكر ان احداً كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في حراء عند نزول الوحي لاسيما في شهر رمضان الذي انزل فيه على رسول الله ، وإلا فقد ذكر ان عبد المطلب كان يتحنث في حراء.